البرهان

فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان

تأليف

برهان الدين أبى القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى

«تاج القرّاء»

المُتوفَّى سنة ٥٠٥ هـ تقريباً

تحقيق وشرح وتعليق

الدكتور / السيد الجميلى

مركز الكتاب للنشر

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ٩٧/١٣٠١١
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977-294-040-X

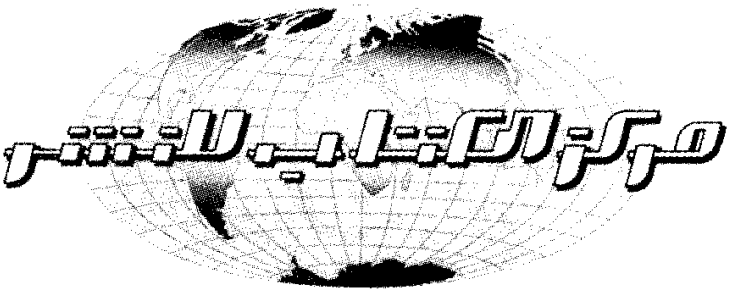

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

الأزهـــر

مجمع البحوث الإسلامية

« مجلة الأزهـــر »

السيد الأستاذ الدكتور/ السيد إبراهيم الجميلى - حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد،،،

فنفيد سيادتكم علمًا بأن تحقيقكم الذى تفضلتم بإرساله إلى المجلة لنشره هدية بمجلة الأزهر - وهو التحقيق الذى قمتم به لكتاب «البرهان فى توجيه متشابه القرآن» والذى تم نشره فعلاً، فكان إحياء لعلم نادر وإعلامًا بإمام عظيم هو مؤلفه الإمام برهان الدين محمود الكرمانى. وإدارة المجلة يسرها أن تبلغكم بتصريحها لكم بإعادة طباعته ونشره وتوزيعه لحسابكم الخاص، ولكم حرية التصرف فى هذا الكتاب بشتى طرق الانتفاع دون أدنى مطالبة من إدارة المجلة بحق من الحقوق - وذلك اعتبارًا من أول أغسطس ١٩٩٤. وكل رجاء أن يكون أى طبع لهذا الكتاب محققًا محفوظًا من الخطأ نظرًا لشريف مادته. وليتكم تعتمدون على طبعة المجلة لهذا الكتاب الجليل، فإنها طبعة قد روجعت وصححت أكثر من مرة، وليس للأزهر قبلكم أى حق بهذا الخصوص.

وفقكم الله - تعالى - وأعانكم آملين أن تمدوا المجلة بما تعثرون عليه من مؤلفات جليلة.

رئيس التحرير

د/ على أحمد الخطيب

١٢ من صفر الخير ١٤١٥هـ - ١٩٩٤/٧/٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمع البحوث الاسلامية
« مجلة الأزهـــر »

السيد الأستاذ الدكتور / السيد إبراهيم الجبالي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

تتشرف سيادتكم علماً بأن تحقيقكم الذي تفضلتم بإرساله إلى المجلة لنشره هدية مجلة الأزهر - وهو التحقيق الذي تم عن الكتاب " البرهان في توجيه متشابه القرآن " والذي تم نشره [illegible] لكونه إحياء لعلم نادر وإعلاماً بإمام عظيم هو مؤلفه الإمام برهان الدين محمود الكرماني . وإدارة المجلة يسرها أن تبلغكم بتصريح لكم بإعادة طباعته ونشره وتوزيعه لحسابكم الخاص ، ولكم حرية التصرف في هذا الكتاب بشتى طرق الانتفاع دون أدنى مطالبة من إدارة المجلة بحقوق [illegible] ، وذلك اعتباراً من أول أغسطس ١٩٩٤ . وكل رجاء أن يكون أي طبع لهذا الكتاب موثقاً حفظاً لاسم المجلة نظراً لسابق حادثة . والشكر لتعاونكم على هدية المجلة لهذا الكتاب الجليل بإخراج طبعة قد روجعت [illegible] الأستاذ [illegible] ، وليس للأزهر قبلكم أي حق في هذا الخصوص ؟
وفقكم الله تعالى ، وإذا أمكنكم أن تمدوا المجلة بما تعثرون عليه من مؤلفات جليلة

رئيس التحرير
المخلص
د/ علي أحمد الخطيب

١٤ من صفر الخير ١٤١٥ هـ ٢١ / ٧ / ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد:

فقد ورد فى فهارس المكتبة الأزهرية[1] عن هذا الكتاب ما يلى:

«البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان» للكرمانى.

وهو برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى المقرى الشافعى، ويُعرَف بتاج القرّاء، من رجال أوائل القرن السادس الهجرى، (توفى بعد سنة ٥٠٠هـ) ضمنه ذكر الآيات المتشابهات التى تكررت فى القرآن الكريم، وسببها، وفائدتها، وحكمتها.

أوله: الحمد لله الذى أنزل الفرقان على محمد، ليكون للعالمين نذيراً... الخ.

وفى فهارس معهد إحياء المخطوطات العربية، فهرس المخطوطات المصورة[2]:

«البرهان فى متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان».

(الأزهر (١٩٢) علوم قرآن ـ ٨٣ ق ١٤× ٢٣ سم) واللافت للنظر أن هذه النسخة هى نفسها المودعة فى مكتبة الأزهر.

وذكره حاجى خليفة[3] فى كشف الظنون بعنوان: «البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان».

---

(١) الجزء الأول (١/ ١٦٤، ١٦٥) ط. ثانية.

(٢) الجزء الأول - تصنيف فؤاد سيد ١٩٥٤م. قسم التفسير وعلوم القرآن، (ص ٢٢ رقم ٣٩).

(٣) كشف الظنون (١/ ٢٤١).

وتوجد منه بالمكتبة الأزهرية أربع نسخ خطية أرقامها ١٥٦، ١٤٩، ١١٧ مجاميع، ورقم ١٢١ علوم قرآن[١]. وتُعتبر النسخة (١٤٩) المنسوخة من الأم (١١٧) هى الأصل.

وقد عمدنا إلى ضبط الكتاب على الأصول، وتحقيق أصوله بالرجوع إلى الكتب التى تناولت موضوعه أو نقلت عنه مع مزيد من الاستقصاء فى كتب التفسير الشهيرة.

ثم عمدنا إلى تبرئة النص مما شابه من أغلاط وأخطاء لغوية ونحوية مما يقع مع الزمن بأيدى النساخ وغيرهم. والله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده المسئول أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

فى هذا الكتاب ذكر الكرمانى المتشابهات التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة، لكن وقع فى بعضها زيادة، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين، أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولا نقصان، مع بيان السبب فى هذا التكرار، والفائدة فى إعادتها، والعائدة من ذلك، وبيان الموجب للزيادة أو النقصان، والتقديم والتأخير والإبدال. وما الحكمة فى تخصيص الآية بذلك دون الأخرى ؟ وهل كان يصلح ما فى هذه السورة مكان ما فى السورة التى تشاكلها أم لا؟ ليجرى ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز به عن أشكالها.

فقد يرد فى القرآن كثيراً مثال قوله تعالى :

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [يوسف: ١٠٩] ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الروم: ٩].

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [يونس: ٤] ـ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٠١] ـ ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ [يونس: ٧٤] .... الخ.

---

(١) وهذه هى المعول عليها فى مساعدة الأصل وضبطه.

ولاشك أن هذه المكررات، وموضع كل منها فى غاية الدقة وعمق الدلالة لهو دليل قاطع على إعجاز القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد بدأ المؤلف ـ رحمه الله، ورضى عنه وأرضاه ـ بهذا الكتاب سلسلة من النفحات والفيوضات الإلهية، استمسك بها من جاءوا بعده، فنسجوا على منواله، بعد أن أخذوا منه، وزادوا عليه. ولكن حسبه أنه فتح الطريق مهيعًا لاحبًا واسعًا للمحبين، والمنهومين بكتاب الله.. قراءة ودراسة وتدبراً واستنباطًا.

لقد بلغ هذا الكتاب غاية الجودة فى التصنيف، وانتفع به أئمة أقطاب كالإمام النووى المُتوفَّى عام ٦٧٦هـ، والإمام زكريا الأنصارى المُتوفَّى سنة ٩٢٦هـ.

ولا يزال المورد سخيًا، والغيث هامرًا، والأفياء ممدودة، والأمل مرجواً أن تيسر هذه الكنوز الثرية حتى يتسنى إشاعة ما فيها من خير عميم، وفضل جزيل، لتنتاش الناس من سبات الغفلة، ولتدفع بهممهم إلى حلبة السباق، حيث المسارعة بالخيرات، وفوارط الأعمال الباقيات.

ويعتبر كتاب الكرمانى هذا أجمع وأضبط كتاب فى موضوعه على الرغم مما سبق من كتب ثلاثة لم يكن لها مثل ما لبرهانه من نصيب أوفى وحظ أكمل من التسديد والتمكين فى بلوغ غاية الأمر المستهدف المنشود.

هذه الكتب الثلاثة هى:

«درة التنزيل للرازى».

وكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافى.

ثم كتاب القاضى عبد الجبار المعتزلى الذى كبر حجمه، وكثر تعديد الآراء الاعتزالية فيه، والانتصار لها وترجيحها، وجعلها أصلاً معتمداً عليها، مهدراً الكثير والكثير من أصول أهل السنة والجماعة، مما جعل وضع هذا

الكتاب حرجًا للغاية، حيث طرح كثيراً من النصوص والأحاديث الصحيحة الصريحة جانبًا، والتفت عنها، وأخذ بتأويلات اعتزالية محضة، ولذلك كان على قارئ كتاب القاضى عبد الجبار «متشابه القرآن» أن يكون حذراً مستيقظًا ملمًا بمذهب المؤلف الذى لا يزايل السياق طرفة عين.

ومن عجيب الأمور أن تاج القراء الكرمانى كان قريب العهد من القاضى عبد الجبار، فإن عبد الجبار تُوفِّى سنة خمس عشرة وأربعمائة، والكرمانى تُوفِّى سنة خمس وخمسمائة تقريبًا، فبينهما نحو قرن واحد من الزمان. ومع هذا فقد اتخذ الكرمانى منهجًا مغايراً للقاضى، ولم يكن كتابه نسخة مكررة من نسخة سلفه، بل ربما التفت عنه تمامًا، ولم يعول عليه.

ولئن كانت ثمة هفوات أو هنوات هنا أو هناك، فهى من الشيطان ومنى ومن تقصيرى. وإن كان ثم شىء من التوفيق، فمن لطف الله بى ورحمته. وفى كرم الكريم وتجاوزه مندوحة وفسحة لكل مقصر غير معصوم. والله ـ سبحانه ـ مسئول أن يجعل عملنا هذا مبروراً مقبولاً.

القاهرة فى يناير ١٩٩٤م / شعبان ١٤١٤هـ

السيد الجميلى

التعريف بالمؤلف

أبو القاسم محمود بن حمزة الكرمانى
(تاج القرّاء)
المتوفى حوالى سنة ٥٠٥ هـ

هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم، برهان الدين الكرمانى، ويُعرَف بتاج القرَّاء. كان عالمًا بالقراءات، ولم يُعرَف تاريخ ميلاده على وجه التحديد، وتنوزع فى تاريخ وفاته. لكن أرجح الأقوال على أنه تُوفِّى سنة خمس وخمسمائة للهجرة.

ويبدو أن الكرمانى كان شديد التواضع منكبًا على العلم، لم يعرف علماء ومصنفو الطبقات كثيرًا من حياته، حتى إن سنة وفاته لم يقطعوا بها.

ثم إن ترجمته لا تتعدى بضعة أسطر نقلها محررو الطبقات بعضهم عن بعض نقلاً كما هى، ولم يزد أحد على أحد سطرًا، فإنك لتجدها نفس الصياغة والأسلوب[١].

ولكونه نَحْوِيًا لُغَوِيًا فقد ذكره السيوطى، وترجم له فى سبعة أسطر، ناقلاً كلام ياقوت الحموى بلفظه وسياقه فقال:[٢] «قال ياقوت: هو تاج القراء، وأحد العلماء الفُهَماء النُّبَلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجبًا فى الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل، وكان فى حدود الخمسمائة. وتُوفِّىَ بعدها». اهـ بتصرف. رحمه الله رحمة واسعة.

وللكرمانى ـ رحمه الله ـ مؤلفات عدة، منها:

(أ) شرح اللمع لابن جنى رحمه الله.

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى (١٩/ ١٢٤، ١٢٥) وطبقات القرَّاء لابن الجوزى (٢/ ٢٩١) وكشف الظنون لحاجى خليفة (١/ ١٣١، ٢١٣، ٢٤١) و(١١٢٦ و١١٢٧ و١١٩٧ و١٥٤١ و١٥٦٢) وفهرست الخديوية (١/ ١٣٣).

(٢) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى (٢/ ٢٧٧، ٢٧٨ رقم ١٩٧٢).

(ب) الإيجاز مختصر الإيضاح للفارسى رحمه الله.

(جـ) العجائب والغرائب.

(د) لباب التفسير وعجائب التأويل.

(هـ) البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان. وهو هذا الذى نقدمه.

على أن كتابى الكرمانى: «العجائب» و«لباب التفسير» قد رأى فيهما العلماء محظورات كان أولى بالعلامة الكرمانى ألا يذكرها، بينما ذكرها الإمام ـ رحمه الله ـ على سبيل تعريتها وبيان فسادها. ولكل وجهة، رحم الله علماؤنا أجمعين، وبارك فى تراثهم ونفعنا به.

وفاته:

ذكر الأستاذ عمر كحالة أنه تُوفِّى فى سنة خمسمائة، وقال: «إنه كان مفسرًا قارئًا نحويًا» اهـ.

رحمه الله ـ تعالى ـ وأجزل مثوبته.

السيد الجميلى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

قال الشيخ الإمام العالم العلامة تاج القراء أبو القاسم محمود[١] بن حمزة بن نصر الكرمانى رضى الله عنه ورحمه:

الحمد لله الذى أنزل الفرقان على محمد؛ ليكون للعالمين نذيرًا، معجزًا للإنس والجن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

ونصلى ونسلم على المبعوث بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلاة دائمة ، تتصل ولا تنقطع بكرة وهجيرًا[٢].

وبعد:

فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التى تكررت فى القرآن (الكريم)[٣] وألفاظها متفقة،ولكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين السبب[٤] فى تكرارها، والفائدة فى إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة فى تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح (ما)[٥] فى هذه السورة مكان (ما) فى السورة التى تشاكلها أم لا...؟ ليجرى ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن

---

(١) فى الأصل «محمد» والتصحيح الذى أوردناه من مراجع ومصادر الترجمة ومن باقى النسخ.

(٢) هجيرا: الهَجيرُ نصف النهار عند اشتداد الحر.

(٣) لم ترد فى الأصل.

(٤) فى المطبوعة (ما) السبب.

(٥) ساقطة من الأصل.

أشكالها، من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها، فإنى ـ بحمد الله ـ قد بينت ذلك كله بشرائطه فى كتاب «لباب التفسير وعجائب التأويل»[1] مشتملاً على أكثر ما نحن بصدده، ولكنى[2] أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه؛ فإن الأئمة ـ رحمهم الله تعالى ـ قد شرعوا فى تصنيفه، واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، (وهو)[3] المشكل الذى لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه.

وقد قال أبو مسلم فى تفسيره عن أبى عبد الله الخطيب فى تفسيره كلمات معدودات منها، وأنا أحكى لك كلامه فيها إذا بلغت إليها، مستعينًا بالله ومتوكلاً عليه.

وسميت هذا الكتاب: «البرهان فى متشابه القرآن، لما فيه من الحجة والبيان» وبالله التوفيق وعليه التكلان.

---

(١) وهذا هو الكتاب الذى استنكر عليه بسببه لذكره كثيرًا من المستنكرات على سبيل تعريتها وبيان فسادها. وكان الأولى عدم ذكرها البتة.

(٢) فى الأصل: ولكن.

(٣) ساقطة من الأصل.

سورة الفاتحة

١ـ أول المتشابهات قوله ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ﴾ [٣، ٤] فيمن جعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من الفاتحة. وفي تكراره قولان: قال على بن عيسى[١] : إنما كرر للتوكيد، وأنشد قول الشاعر:

هَلاَّ سَأَلتِ جُمُوع كندة ... يـومَ ولَّـوا أيـْنَ أَيْنَا ؟

وقال قاسم بن حبيب[٢]: إنما كرر؛ لأن الرحمة هى الإنعام على المحتاج، وذكر فى الآية الأولى المنعم، ولم يذكر المنعَم عليهم؛ فأعادها مع ذكرهم، وقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ﴾ [٢، ٣] لهم جميعًا[٣] ينعم عليهم ويرزقهم.

﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين خاصة يوم الدين، ينعم عليهم ويغفر لهم[٤].

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥] كرر ﴿إياك﴾ وقدمه، ولم يقتصر على ذكره مرة، كما اقتصر على ذكر أحد المفعولين فى آيات كثيرة منها: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] أى: ما قلاك، وكذلك الآيات التى بعدها معناها: (فآواك ـ فهداك ـ فأغناك)؛ لأن فى التقديم فائدة، وهى قطع الاشتراك، ولو حذف لم يدل على التقديم؛ لأنك لو قلت: إياك نعبد ونستعين، لم يظهر أن التقدير: إياك نعبد وإياك نستعين[٥]، أم إياك نعبد ونستعينك، فكرر.

---

(١) هو على بن عيسى بن على بن عبدالله أبو الحسن الرمانى، المتوفى ٣٨٤هـ. إنباه الرواة (٢/ ٢٩٤) وتاريخ بغداد (١٢/ ١٦) ونزهة الألباء (٣١٨) وبغية الوعاة للسيوطى (٢/ ١٨١) والنجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) وطبقات النحاة (١٧٤) وطبقات المفسرين (٢٤).

(٢) هو قاسم بن حبيب من نحاة الطبقة الرابعة بالقيروان. طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (٣٧٢). وذكره السيوطى فى بغية الوعاة (٢/ ٢٥٢/ ١٩١٧).

(٣) فى الأصل: أجمعين.

(٤) راجع فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصار (ص١٧).

(٥) قال النووى: كررت إياك المفيدة للحصر، وتقدمت للتصريح بتوكيد حصر الإخلاص فى العبادة له، وحصر الاستعانة أيضًا به تعالى. الفتاوى (ص ١٧٠) مسألة (٧).

٣ - قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [٧] كرر «الصراط»؛ لعلة تقرب مما ذكرت فى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ وذلك أن الصراط هو: المكان المهيأ للسلوك، فذكر فى الأول المكان، ولم يذكر السالكين، فأعاده مع ذكرهم، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ﴾[(١)] أى الذى يسلكه النبيون والمؤمنون؛ ولهذا كرر أيضًا فى قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]؛ لأنه ذكر المكان المهيأ[(٢)]؛ ولم يذكر المهيىء، فأعاده مع ذكره، فقال: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ أى الذى هيأه للسالكين.

٤ - قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليس بتكرار؛ لأن كل واحد منهما متصل بفعل غير الآخر، وهو الإنعام والغضب، وكل واحد منهما يقتضيه اللفظ، وما كان هذا سبيله فليس بتكرار، ولا من المتشابه.

---

(١) يلاحظ أن الله تعالى صرح بإضافة النعم إليه دون الغضب، فلذلك لم يقل: غير الذين غضبت عليهم، كما قال: «أنعمت عليهم» وهو من باب الأدب من السائل فى حال السؤال، ومنه ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ آل عمران ٢٦ ولم يقل والشر، ونبه على ضده بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. راجع أيضًا فتاوى النووى (ص ١٧٠) مسألة (٨).

(٢) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصارى (ص ١٨).

٥ـ فى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [١][(١)] هذه الآية تتكرر فى أوائل ست سور[(٢)]، فهى من المتشابه (أيضًا) لفظًا. وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] هى هذه الحروف الواقعة فى أوائل السور، فهى أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى، والموجب لذكره أول «البقرة» من القسم وغيره، وهو بعينه الموجب لذكره فى أوائل سائر السور المبدوءة به، وزاد فى الأعراف (صادًا)؛ لما جاء بعده: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾[الأعراف: ٢]؛ ولهذا قال بعض المفسرين: معنى ﴿الٓمٓصٓ﴾: * ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. وقيل: معناه المصور، وزاد فى الرعد راء؛ لقوله بعده: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ [الرعد: ٢].

٦ـ قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾[٦] وفى «يس»: ﴿وَسَوَاءٌ﴾ [١٠] بزيادة واو؛ لأن ما فى البقرة جملة هى خبر عن اسم (إن)، وما فى «يس» جملة عطفت بالواو على جملة[(٣)].

٧ـ قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٨] ليس فى القرآن غيره. تكرار العامل مع حرف العطف لا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم؛ نفيًا للريبة، وإبعادًا للتهمة، فكانوا فى ذلك كما قيل: «يكاد المريب يقول: خذونى»، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٨]. ويكثر ذلك مع النفى[(٤)]، وقد جاء فى القرآن على

---

(١) راجع الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور، واختلاف المفسرين حولها فى مختصر ابن كثير (١/ ٢٧) وكشاف الزمخشرى (١/ ٧٦).

(٢) فتح الرحمن (ص ١٩) مسألة رقم (١) وقد تكررت فى السور الست الآتية: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. فهذه ست سور.

(٣) قال الله تعالى فى يس: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ (١٠) بذكر واو العطف، وهنا فى البقرة قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ فلم يذكر حرف العطف. راجع أيضًا الفوائد المنثورة (الفتاوى) للإمام النووى (ص ١٧١) مسألة (١٢).

(٤) كذا ورد بالأصل.

موضعين: فى النساء: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [٣٨]، وفى التوبة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [٢٩].

٨ـ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [٢١] ليس فى القرآن غيره؛ لأن العبادة فى الآية: التوحيد(١).

والتوحيد أول ما يلزم العبد من المعارف، فكان هذا أول خطاب خاطب الله به الناس فى القرآن، فخاطبهم بما ألزمهم أولاً، ثم ذكر سائر المعارف، وبنى عليها العبادات فيما بعدها من السور والآيات.

فإن قيل: سورة البقرة ليست من أوائل القرآن نزولاً، فلا يحسن فيها ما ذكرتَ.

قلت: أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله ـ تعالى ـ فى اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على جبريل ـ عليه السلام ـ كل سنة، أى: ما كان يجتمع عنده منه(٢).

وعرضه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى السنة التى توفى فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتى الربا والدين.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله فى «هود»: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ [١٣](٣) معناه مثل البقرة إلى هود، وهى العاشرة. ومعلوم أن سورة «هود» مكية، وأن «البقرة»، و«آل عمران»، و«النساء»، و«المائدة»، و«الأنفال» مدنيات نزلن بعدها.

---

(١) القرطبى (١/ ٢٣٨) والبيضاوى (١/ ١٦) والكشاف (١/ ٨٠) ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ومثل قوله: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] أى الموحدين. أنظر: تفسير القرطبى (١٧/ ٥٥) والطبرى (٢٧/ ٢٨).

(٢) أى ما كان يجتمع عنده ﷺ من القرآن فى سنة.

(٣) وفى البقرة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ و«من» هنا للتبعيض أو للتبيين أو صلة كما ذكر الأخفش. بتصرف من فتح الرحمن (ص٣).

وفسر بعضهم قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤][1] أى: اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير. وجاء النكير على من قرأه معكوسًا، ولو حلف إنسان أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزمه إلا على هذا الترتيب، ولو نزل جملة كما اقترحوا عليه بقولهم: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] لنزل على هذا الترتيب، وإنما تفرقت سوره وآياته؛ نزولا لحاجة الناس حالة بعد حالة، ولأن فيه الناسخ والمنسوخ، ولم يكونا ليجتمعا نزولاً.

وأبلغ الحكم فى تفرقه ما قاله سبحانه ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وهذا أصل تنبنى عليه مسائل.

٩ـ قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [٢٣] بزيادة «من» فى هذه السورة، وفى غيرها ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨][2]؛ لأن «من»: تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن، وأوله بعد الفاتحة؛ حسن دخول «من» فيها؛ ليعلم أن التحدى واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخل عليها «من» لكان التحدى واقعًا على بعض السور دون بعض. ولم يكن ذلك بالسهل.

والهاء فى قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ تعود إلى «ما» وهو القرآن الكريم، وذهب البعض إلى أنه يعود على محمد عليه السلام، أى فأتوا بسورة من إنسان مثله، وقيل: يعود إلى الأنداد[3]، وهو ضعيف؛ لأن الأنداد جماعة، والهاء للفرد، وقيل: مثله: التوراة، والهاء تعود إلى القرآن، والمعنى: فأتوا بسورة من التوراة التى هى مثل القرآن؛ ليعلموا وفاقهما وهو خطاب لليهود.

١٠ـ قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [٣٤] ذكر هذه الخلال فى هذه السورة جملة، ثم ذكرها فى سائر السور مفصلاً، فقال فى

---

(١) راجع معنى الترتيل أيضًا فى تفسير القرطبى (١٩/ ٣٦) وتفسير الطبرى (٢٩/ ٨٠).

(٢) راجع الفتاوى للنووى ص ١٧٣، ١٧٤. مسألة (١٩).

(٣) الأنداد: النظراء والشركاء. يقال: هذا ند فلان ونديده. والأنداد: الأشباه والأمثال. راجع «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» للسيوطى (١/ ٣٥). ثم انظر أيضًا مختصر ابن كثير (١/ ٣٨).

الأعراف[1]: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [١١]، وفى «الحجر»: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [٣١] وفى «سبحان»[2]: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [٦١] ، وفى «الكهف»: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [٥٠] وفى «طه»: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [١١٦]. وفى «ص»: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٧٤].

١١ـ قوله: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا﴾ [٣٥] بالواو.

وفى «الأعراف»: ﴿فَكُلا﴾ [١٩] بالفاء؛ ﴿سْكُنْ﴾[3] فى الآيتين ليس بأمر بالسكون الذى هو ضد الحركة، وإنما الذى فى «البقرة» من السكون الذى معناه الإقامة، وذلك يستدعى زمانًا ممتدًا، فلم يصلح إلا بالواو؛ لأن المعنى: اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها. ولو كان (الفاء) مكان (الواو) لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأن (الفاء) للتعقيب والترتيب. والذى فى «الأعراف» من السكنى التى معناها: اتخاذ الموضع مسكنًا؛ لأن الله ـ تعالى ـ أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ [١٨][4]، وخاطب آدم فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [١٩] أى اتخذاها لأنفسكما مسكنًا ﴿فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [١٩] فكانت الفاء أولى؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعى زماناً ممتدًا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه[5]، بل يقع الأكل عقيبه.

وزاد فى البقرة ﴿رَغَدًا﴾؛ لما زاد فى الخبر تعظيمًا بقوله: ﴿وقلنا﴾ بخلاف سورة «الأعراف»؛ فإن فيها ﴿قَالَ﴾، و«الخطيب» ذهب إلى أن ما فى «الأعراف» خطاب لهما قبل الدخول، وما فى البقرة بعد الدخول.

---

(١) فى الأصول: الفرقان. وهذا خطأ تحريف من النساخ.

(٢) أى سورة الإسراء رقم (١٧) فى ترتيب المصحف.

(٣) أنظر الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٢) وفتاوى النووى ص ١٧٥ مسألة (٢٢) وفتح الرحمن (ص ٢٥) (مسألة ١٨).

(٤) راجع تفسير الطبرى (٨/ ١٠٣) ومجاز القرآن لأبى عبيد (١/ ٢١١).

(٥) فتاوى النووى (ص ١٧٥) مسألة (٢٢).

١٢ـ قوله: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ [٣٨] كرر الأمر بالهبوط [١]؛ لأن الأول من الجنة، والثانى من السماء.

١٣ـ قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ [٣٨]؛ وفى «طه»: ﴿فَمَن اتَبِعَ﴾[١٢٣] (تبع) و(اتبع) بمعنى[٢]، وإنما اختار فى طه (اتبع)؛ موافقة لقوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ [١٠٨].

١٤ـ قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [٤٨] قدم الشفاعة فى هذه الآية وأخر العدل، وقدم العدل فى الآية الأخرى[٣] من هذه السورة وأخر الشفاعة. وإنما قدم الشفاعة؛ قطعًا لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخرها فى الآية الأخرى؛ لأن التقدير فى الآيتين معًا: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة؛ لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل فى الآية الأخرى؛ ليكون لفظ القبول مقدمًا فيها.

١٥ـ قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [٤٩] بغير واو هنا على البدل من ﴿يسومونكم﴾، وفى «الأعراف»: ﴿يقتلون﴾ [١٤١]، وفى «إبراهيم»: ﴿ويذبحون﴾[٦] بالواو؛ لأن[٤] ما فى هذه السورة و«الأعراف» من كلام الله تعالى، فلم يعدد المحن عليهم[٥]، والذى فى إبراهيم من كلام موسى فعدد

---

(١) قال الشيخ زكريا الأنصارى فى كتابه: «كرر الأمر بالهبوط للتوكيد، أو لأن الهبوط الأول من الجنة والثانى من السماء، أو لأن الأول إلى دار الدنيا، يتعادون فيها ولا يخلدون، والثانى إليها للتكليف فيمن اهتدى نجا، ومن ضل هلك» أ. هـ.

(٢) يقول النووى: «يحتمل ـ والله أعلم ـ أن «فعل» لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و«افتعل» يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم هنا بفعله فجىء بمن ﴿اتَّبَعَ هُدَايَ﴾، وفى طه بعد قوله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [١١٥] ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [١٢١] فناسب ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾ أى جدد قصد الاتباع» أ. هـ.

(٣) وهى الآية رقم ثلاث وعشرين ومائة من سورة البقرة: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ والعدل هنا هو الفدية. وراجع معنى العدل، ولماذا قيل للفداء عدل؟ فى غريب القرآن ص ٤٨ وقارن هذا بما ذكر الإمام الطبرى فى التفسير (١/ ٣٥) قال الشيخ الأنصارى: «قدم الشفاعة هنا فى البقرة، وعكسه فيما يأتى؛ للإشارة هنا إلى أن ميله إلى حب نفسه أشد منه إلى حب المال، ثم إلى من هو بعكس ذلك» أ. هـ. بتصرف وزيادة. راجع أيضًا ما قاله النووى فى فتاويه (ص ١٧٩).

(٤) نقل الشيخ زكريا كلام الكرمانى هذا فى فتح الرحمن ص ٢٧ مسألة (٢٤)، وكذلك نقله النووى ص ١٧٧ مسألة (٢٧) مع زيادة وتصرف.

(٥) فى المطبوعة: فلم تعداد المحن.. وهو غير مناسب.

المحن عليهم، وكان مأموراً بذلك فى قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

١٦ـ قوله: ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٥٧] ها هنا، وفى «الأعراف» [١٦٠]، وقال فى «آل عمران»: ﴿وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [١١٧]؛ لأن ما فى السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا، وما فى «آل عمران» مثل[(١)].

١٧ـ قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ [٥٨] بالفاء، وفى «الأعراف» [١٦١] بالواو؛ لأن الدخول سريع الانقضاء، فيتبعه الأكل، وفى «الأعراف» ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾ [١٦١] المعنى: أقيموا فيها، وذلك ممتد، فذكر بالواو، أى اجمعوا بين الأكل والسكون، وزاد فى «البقرة» ﴿رَغَدًا﴾ (٥٨)؛ لأنه ـ سبحانه ـ أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم وهو قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [٥٨] خلاف ما فى «الأعراف»؛ فإن فيه ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ [١٦١].

وقدم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [٥٨] على قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [٥٨] فى هذه السورة، وأخرها فى «الأعراف»؛ لأن السابق فى هذه السورة ﴿ادخلوا﴾؛ فبين كيفية الدخول[(٢)].

وفى هذه السورة ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ [٥٨] بالإجماع، وفى «الأعراف» ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ [١٦١] مختلف؛ لأن خطايا: صيغة الجمع الكثير، ومغفرتها أليق فى الآية، بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه.

وفى هذه السورة ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ [٥٨]. وفى الأعراف ﴿سَنَزِيدُ﴾ [١٦١] بغير واو، لأن اتصالها فى هذه السورة أشد[(٣)]؛ لاتفاق اللفظين، واختلفا فى الإعراب؛ لأن اللائق (سنزيد) محذوف الواو، ليكون استئنافًا للكلام.

وفى هذه السورة ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً﴾ [٥٩][(٤)]، وفى «الأعراف»[١٦٢]

---

(١) فتح الرحمن (ص ٢٧) مسألة (٢٥).

(٢) ففى البقرة جاء الخطاب من الله ـ تعالى ـ بينما فى الأعراف جاء بصيغة الغائب؛ ولذلك عطف بالواو فى البقرة.

(٣) «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن» (ص ٢٨) مسألة (٢٧)، والنووى (ص ١٧٨) مسألة (٢٨).

(٤) راجع تفسير الطبرى (١/ ٤١١)، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (١/ ٧١)، وتبديلهم ذلك أنه لما قيل لهم: قولوا حطة. قالوا: حنطة.

﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾؛ لأن فى الأعراف ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [١٥٩]، ولقوله: ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وفى هذه السورة: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [٥٩]، وفى «الأعراف» ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ [١٦٢]؛ لأن لفظ الرسول والرسالة كثر فى «الأعراف»، فجاء ذلك؛ وفقًا لما قبله[١]، وليس كذلك فى سورة البقرة.

١٨ـ قوله: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ [٦٠]، وفى «الأعراف» : ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾[١٦٠]؛ لأن الانفجار: انصباب الماء بكثرة[٢].

والانبجاس: ظهور الماء، وكان فى هذه السورة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [٦٠] فذكر بلفظ بليغ، وفى «الأعراف»: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [١٦٠] وليس فيه ﴿واشربوا﴾؛ فلم يبالغ فيه.

١٩ـ قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [٦١] فى هذه السورة، وفى «آل عمران»: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [٢١] وفيها وفى «النساء»: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [١٨١، ١٥٥]؛ لأن ما فى «البقرة» إشارة إلى الحق الذى أذن الله أن تقتل به النفس وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فكان الأولى [الذكر معرفًا][٣]؛ لأنه من الله تعالى، وما فى «آل عمران» و«النساء» نكرة، أى بغير حق فى معتقدهم ودينهم، فكان هذا بالتنكير أولى[٤].

وجمع النبيين جمع السلامة فى «البقرة» لموافقة ما بعده من جمعى السلامة وهو [النبيين والصابئين] وكذلك فى «آل عمران»: [إن الذين ـ وناصرين ـ ومعرضون] بخلاف الأنبياء فى السورتين [٥].

---

(١) راجع الأقوال فى الفتح (ص ٢٩) مسألة (٣٠) وبنحوه عند النووى (ص ١٧٩).

(٢) قال النووى: «إن الانفجار أبلغ فى كثرة الماء» أهـ . بتصرف.

(٣) كذا بالأصل . أى ذكر (الحق) معرفًا، والله أعلم.

(٤) قال الشيخ زكريا الأنصارى: «فإن قلت لِمَ مَكَّن الكافرين من قتل الأنبياء؟ قلت: كرامة لهم، وزيادة فى منازلهم، كمن يقتل فى الجهاد من المؤمنين» أهـ. بتصرف، وكذا ورد هذا المعنى فى فتح الرحمن (ص٢٩) مسألة (٣١).

(٥) الفتح (ص ٢٩ ، ٣٠) مسألة (٣٤)، والنووى (ص ١٨٠) مسألة (٣٢).